دراسة ميدانية
لمشروع تدبر القرآن الكريم
في العمل الخيري النسائي في مملكة البحرين

إعـــداد

د. رقية طه العلواني

رئيسة مؤسسة سرى للفكر والإبداع

بحثٌ مقدَّمٌ إلى

« مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث »

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م



ملخص الورقة

تتناول هذه الورقة عرض تجربة واقعية ودراسة ميدانية لمشروع تطوعي تم طرحه في عديد من الجمعيات الخيرية النسائية في داخل البحرين وخارجها ألا وهو مشروع تدبر القرآن الكريم. وتأتي أهمية هذه الورقة من عدة جوانب: أولها أن كاتبة الورقة هي صاحبة هذا المشروع وقد خاضت غمار التجربة على مدى سنوات طويلة تجاوزت الستة أعوام. وثانيها: أن هذه الورقة محصلة نتائج دراسة ميدانية وتحليل لاستبيانات تم جمعها على مدى ٦ سنوات – هي عمر المشروع – من مختلف الجمعيات الخيرية النسائية في البحرين التي تم تقديم المشروع من خلالها. وثالثها: أهمية المشروع الذاتية وأثره الفعلي في تنمية الفرد والمجتمع وإسهامه في النهوض بالأمة. إضافة إلى أهمية توسيع مجالات الأعمال الخيرية والتطوعية التي قد يظن البعض أنها محصورة في مجالات الإعانات المادية فحسب.

وقد كشفت الورقة عن أهمية هذا المشروع ومدى الحاجة إليه في الوقت الراهن، كما أبرزت الإسهامات التي قدمتها الكاتبة بالتعاون والتنسيق مع عدد من الجمعيات الخيرية النسائية في البحرين والإمارات العربية المتحدة. وقد كشفت الورقة عن أبرز الصعوبات التي واجهها المشروع المتعلقة بالتمويل والإعلام والتنظيم والتنسيق...

كما حرصت على تقديم خطوات عملية لتفعيل هذا المشروع وتحسين الأداء فيه وفي غيره من مشاريع تقدمها الجمعيات الخيرية بشكل عام والنسائية بشكل خاص.

أولاً: مقدمة معرفية

لا ينحصر العمل التطوعي في العمل الفردي أو الجماعي عند وقوع كوارث أو في أوقات الشدة، كما لا ينحصر في المنظمات التى تقدم خدمات إجتماعية للمجموعات الضعيفة والتي يطلق عليها المجموعات الخاصة في علم الخدمة الإجتماعية، مثل المعوقين والمكفوفين والصم والبكم. بل يمتد العمل التطوعي ليشمل كل عمل غير ربحي، لا يقدم نظير أجر معلوم، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الأفراد والمجتمعات البشرية بصفة مطلقة[(١)].

وقد تعارف المتخصصون في مجال الخدمة الاجتماعية على تعريف التطوع بأنه «المجهود القائم على مهارة أو خبرة معينة، والذي يبذل عن رغبة واختيار، بغرض أداء واجب اجتماعي، ودون توقع جزاء مالي بالضرورة»[(٢)].

ويلاحظ أن هذا التعريف أكد على الرغبة والاختيار في أداء المتطوع للعمل، وهذا لا يرتبط بالحصول على جزاء مالي بالضرورة، فهو يتم من دون مقابل مادي، بل قد يحمل في طياته عائداً معنوياً مرتبطاً بالدافع إلى التطوع. كما أكد التعريف على أن الجهد الذي يقدم من قبل المتطوع مرتبط بمهارة وخبرة معينة يملكها هذا المتطوع، وهذا يدل على أن الأعمال التطوعية لا تتم بصورة عشوائية، بل تحتاج إلى خبرة ومهارة وتنظيم وتوظيف لكل متطوع في المكان الذي يمكنه الإفادة فيه، حسب مهارته وخبراته.

ويوصف العمل التطوعي بصفتين أساسيتين تجعلان من تأثيره قوياً في المجتمع وفي عملية

(١) حول ذلك انظر: إبراهيم حسين، العمل التطوعي في منظور عالمي، المؤتمر الثاني للتطوع، الشارقة، الامارات العربية المتحدة، ٢٣-٢٤ يناير/ ٢٠٠١م.

(٢) راجع حول ذلك: عبدالله الخطيب، العمل الجماعي التطوعي، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٢م. ص ٩ وما بعدها. راجع كذلك ندوة ثقافة العمل التطوعي مفقودة، جريدة الرياض، الثلاثاء ٢٣ صَفر ١٤٢٨هـ - ١٣مارس ٢٠٠٧م - العدد ١٤١٤١.

التغيير الاجتماعي، وهما:

١ – قيامه على أساس المردود المعنوي أو الاجتماعي المتوقع منه، مع نفي أي مردود مادي يمكن أن يعود على الفاعل.

٢– ارتباط قيمة العمل بغاياته المعنوية والإنسانية.

لهذا السبب يلاحظ أن وتيرة العمل التطوعي لا تتراجع مع انخفاض المردود المادي له، إنما بتراجع القيم والحوافز التي تكمن وراءه، وهي القيم والحوافز الدينية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية.

ويمكن التمييز بين شكلين أساسيين من أشكال العمل التطوعي:

١ – العمل التطوعي الفردي:

وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة ولا يبغي منه أي مردود مادي، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية.

٢– العمل التطوعي المؤسسي:

وهو أكثر تقدماً من العمل التطوعي الفردي وأكثر تنظيماً وأوسع تأثيراً في المجتمع، وفي الوطن العربي بشكل عام والخليجي بشكل خاص، توجد مؤسسات متعددة وجمعيات أهلية تساهم في أعمال تطوعية كبيرة لخدمة المجتمع[١].

(١) بلال عرابي، دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع:

http: //www.saaid.net /Anshatah /dole /38.htm

ثانياً: دور المرأة البحرينية في العمل الخيري

مما لا شك فيه أن المرأة أصبحت عنصراً فاعلاً ومكوناً أساسياً في هذه المجالات كلها. لعملية التنمية والنهضة لأي مجتمع، الأمر الذي دعا إلى الاهتمام الكبير من قبل دول الخليج بإشراك المرأة وإسهامها في الدفع بعجلة التنمية[١]. ويعد العمل في مجالات الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني، من أبرز ميادين المشاركة التنموية وخاصة للمرأة الخليجية.

ومملكة البحرين من أكثر الدول اهتماماً ومشاركة في مسيرة العمل التطوعي فقد ظهر العديد من الجمعيات المعنية بالأعمال الخيرية ومساعدة الفقراء.

وقد بدأت مسيرة العمل الخيري في تقديم خدماتها، وتطورت حتى وصلت إلى مستوى من الحضور والتأثير[٢]. الأمر الذي أدى إلى مشاركة المرأة الفعلية في التنمية والنهوض بها ثقافياً واقتصادياً. وتدل إحصاءات وزارة الشؤون الاجتماعية أن دور وإسهامات الجمعيات الخيرية والاجتماعية والتعاونية ومؤسسات المجتمع المدني في دعم الأسر الفقيرة، بلغ درجة من الأهمية في تحقيق الرفاه الاجتماعي للمواطنين[٣].

وقد شهد عام ٢٠٠٦م إشهار العديد من الجمعيات النسائية المخصصة للعمل الخيري بكافة أشكاله وصوره ومنها تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية. فقد تصدت المرأة

(١) انظر على سبيل المثال البيان الختامي للندوة التعريفية بالأهداف الإنمائية للألفية وتوظيفها في السياسات الاجتماعية في دول مجلس التعاون والتي تنظمها وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية لدول مجلس التعاون بدول الخليج العربية الذي عقد بالدرعية في المملكة العربية السعودية في ١٤/ مايو/ ٢٠٠٧م.

(٢) المرأة في المجتمع البحرين (فاطمة البلوشي - مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية - ورقة مقدمة إلى ندوة دور المرأة في المجتمعات الخليجية القاهرة ، ٢٠٠٠م.

(٣) نقلاعن وكالة أنباء البحرين، وزارة التنمية الاجتماعية ..نجاحات متواصلة في تنفيذ خطط الحكومة لتحقيق الر فاه والأمن الاجتماعي، ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

بإقامـة محـاضرات ودروس توعيـة للمرأة خاصة فيـما يتعلق بالتدريس في مراكـز تحفيظ القران الكريـم. التـي تـم جمعها من قبل المشـاركات والمتدربـات في دورات تدبر القـرآن في الفترة من نهايات عام ٢٠٠١-٢٠٠٧م.

ثالثا: مشروع تدبر القرآن..أنموذجاً للعمل الخيري النسائي

هذه الورقة تجربة واقعية لعمل خيري تطوعي ألا وهو مشروع تدبر القرآن الكريم، الذي بـدأ العمل به في سـاحات العديد من الجمعيات الخيرية في البحرين، كنموذج لدراسـة أوضاع مثل هذه المشـاريع التطوعية وما يكتنفها من ظروف وصعوبات وتقديم رؤية مسـتقبلية لكيفية تذليل هذه الصعوبات والتعامل معها.

و يجـدر بنا قبل الخوض في الحديث عن أهمية مشروع التدبر للأفراد والمجتمعات، التطرق إلى بيان مفهومه وحدوده.

فكلمـة التدبـر في اللغة مأخـوذة من مادة (د ب ر) وأصلها آخر الشيء وخلفه. وفي لسـان العـرب دبّـر الأمـر وتدبّره أي نظـر في عاقبته وعرف الأمر تدبـراً أي بآخره. فتدبـر الكلام أي النظر في أوله وآخره ثم إعادة النظر مرة بعد مرة، ومن هذا قول جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفـون الأمـر إلا تدبرا

والتدبـر في الأمـر: التفكـر فيه، وفـلان ما يدري قبال الأمـر من دباره أي أولـه من آخره. ويقال فلان لو اسـتقبل من أمره ما اسـتدبره لهدي لوجهة أمره، أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخـره لاسترشـد لأمره. وقال أكثم بـن صيفي لبنيه: يا بني لا تتدبـروا أعجاز أمور قد ولت صدورها [١].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج٤، ص ٢٧٣.

ودبّـرت الأمـر تدبـيراً فعلته عـن فكر ورويـة، وتدبرته تدبـراً نظرت في دبره وهـو عاقبته وآخـره [١].

والتدبـر النظـر في دبـر الأمـور أي عواقبها وهو قريب مـن التفكـر، إلا أن التفكر تصرف بالنظر في الدليل والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب[٢].

يقـول ابـن القيم رحمـه الله: « وتدبر الكلام أن ينظـر في أوله وآخره ثم يعيـد نظره مره بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين » [٣].

فأصـل معنـى التدبـر في اللغة مأخوذ مـن النظر في عواقـب الأمور ونهاياتها. وهو نشـاط وجهد ذهني يقوم به العقل بغية التوصل إلى عواقب الأمور ونتائجها.

والمقصـود بتدبـر القـرآن الكريم: النظر والتوصـل إلى مغزى الآيـات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات.

وقد عرّفه بعض العلماء المعاصرين بأنه: التفكر الشـامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة [٤].

والتدبـر معنى أخص من المعرفة التفصيلة لمعاني الآيات، فالتدبر يقتضي النظر إلى ما تصير

(١) أحمد بن محمد المقري الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ج١، ١٨٩.

(٢) محمـد عبـد الـرؤوف المنـاوي، التوقيف على مهـمات التعاريـف، ت: محمـد الدايـة، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٠هـ، ج١، ١٦٧. وانظر كذلك علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١، ٧٦.

(٣) ابـن قيم الجوزية، مفتاح دار السـعادة ومنشـور ولاية العلـم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص ١٨٣

(٤) عبدالرحمن حسـن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، دمشـق، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

إليه عاقبة الكلام في الجملة، وهذا يدفع للعمل بما تم تدبره لاستحضار العاقبة، وفي هذا تعلق واضح بأصل المعنى اللغوي للتدبر الدال على نظر في ما يؤول إليه آخر أمره(١).

كما يشمل التدبر انتفاع القلب بتلك المعاني بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره وأخذ العبرة منه(٢).

فهو نشاط ذهني يهدف الوصول إلى أواخر دلالات النصوص القرآنية ومراميها ومقاصدها. فالقرآن الكريم له مقاصد وغايات جاء لتحقيقها في حياة الأفراد والمجتمعات وهي غايات عامة. وثمة غايات اخرى خاصة بكل سورة في القرآن وما تروم تحقيقه من مقاصد.

والآيات الواردة في القرآن الكريم، أشادت بالتدبر مبينة أنه قدرة عقلية تظهر في الربط بين المقدمات والنتائج واكتشاف الأسباب التي أدت إليها. قال تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا** ﴾(٣). وفي موضع آخر: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾(٤). كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ** ﴾(٥) وقال عزّ من قائل: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾(٦).

في هذه الآية نص صريح على أن الغرض الأساسي من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر لا مجرد التلاوة على عظم أجرها. واللام هنا جاءت للتعليل في قوله تعالى: « ليدبروا » وهي نصّ

(١) ناصر بن سليمان العمر، تدبر القرآن وتعقله وتأمله، الموقع التالي على الانترنت:

http: / /www.almoslim.net /admin_prod /show_article_main.cfm?id=1091

(٢) سلمان بن عمر السنيدي، تدبر القرآن، الطبعة الثانية، المنتدى الإسلامي، ١٤٢٣هـ، ص ١١.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٢.

(٤) سورة محمد، الآية ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ٦٨.

(٦) سورة ص، الآية ٢٩.

صريح في تحديد الغاية من إنزال القرآن الكريم للتدبر والتذكر. ولا خلاف بين الأصوليين في الأخذ بالعلة إذا كان منصوصاً عليها والعمل بها من باب العمل بالنص الصريح.

وروى ابن كثير في تفسيره قول الحسن البصري: « والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل»[1].

ويقول الله عزّ وجلّ في موضع آخر في معرض الحضّ والحث على التدبر: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾.

وقد جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله للآية: « يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن** ﴾. فالأمر صريح في الآية، فإذا أمر الله عزّ وجلّ بأمر فالأمر للوجوب فالتدبر واجب»[2].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون** ﴾[3]. روى ابن كثير في تفسيره قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الآية: « يتلونه حق تلاوته إذا مرّ بذكر الجنة سأل الله الجنة وإذا مرّ بذكر النار تعوذ بالله من النار» أي التدبر في تلك الآيات.

كما روى قول ابن مسعود رضي الله عنه: « والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرّف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله »[4].

---

(١) اسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ،ج٤، ص ٣٤.
(٢) ابن كثير، المرجع السابق، ج١، ص٥٣٠.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٢١.
(٤) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج١، ١٦٤. وأورده كذلك محمد بن جرير الطبري في تفسيره، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١، ٥٢١.

وروى قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهـما أن المراد اتباعـه حق اتباعـه، وروي عن عكرمة وعطـاء ومجاهـد وأبي رزين وإبراهيم النخعـي نحو ذلك. ومعلوم أن الاتبـاع لا يكون إلا بعد الفهم والتدبر وما لا يتحقق ويتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومـن الأدلـة على وجوب التدبر كذلك، قوله تعـالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّـونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِـيَّ وَإِنْ هُـمْ إِلاَّ يَظُنُّـونَ ﴾[١]. قال ابن القيم في ذلـك: « ذمّ الله المحرفين لكتابه والأميين الذيـن لا يعلمـون منـه إلا مجرد التلاوة وهي الأمـاني »[٢]. وقال الشـوكاني: وقيل: (الأماني : التلاوة) أي: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون تفهم وتدبر»[٣].

وتأسيسـاً عـلى هـذه النصوص وغيرها يتبين لنـا أن التدبر واجب شرعي على كل مسـلم، كلٌ حسـب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتسـاب والزيادة وبذل الوسـع في تعلم وتفهم كتـاب الله. فـلا يُعذر أحد بعدم التدبر في آيات الله وقد يـسّره الله للذكر والعمل بما جاء فيه ولا يكون هذا ولا يتأتى إلا عن طريق التدبر والفهم وبذل الجهد في سبيل ذلك.

يقـول السـعدي رحمه الله في تفسـيره: « تدبـره (أي القرآن) مفتاح كل خـير محصل للعلوم والأسرار..فـإذا علـم هـذا، علم افتقـار كل مكلف لمعرفـة معانيـه والاهتداء بهـا وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده ويسـتفرغ وسـعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك. فمن وفـق لذلـك لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها ومـا تتضمنـه وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً فإذا بذل وسـعه في ذلك فالرب أكرم من عبده فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه »[٤].

(١) سورة البقرة، الآية ٧٨.

(٢) ابـن القيم الجوزية، بدائع التفسـير، جمع يسرى السـيد محمد، دار ابن الجوزي، السـعودية، ١٩٩٩، ج١، ٣٠٠.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ج١، ص ١٠٤.

(٤) تفسير السعدي، ج١، ص ٢٩.

فالتدبر من أهم الوسائل التي يقوم الفرد من خلالها بتنمية تلك القدرات وكلما نمت لديه قدرة، كلما ارتقى مستوى التفكر والتدبر لديه. فالإنسان مأمور بالتعلم واكتساب المهارات المختلفة التي تعينه على تعلم وفهم آيات الله القرآنية والكونية.

وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان منزلة التدبر، فعدّوه ضرورة من الضرورات الدينية والعقلية التي لايتم العمل إلا من خلالها. روى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن »[١].

أهمية التدريب على تدبر كتاب الله وتفعيله

لوحظ في الفترات التاريخية المتأخرة، عزوف بعض المسلمين عن التدبر في كتاب الله ظنا منهم بصعوبة الأمر. وهذا الأمر من تلبيس الشيطان ومكائده ليصرف العقول والقلوب عن تفهم معاني القرآن وصرفهم عن الغاية التي لأجلها أنزل القرآن فهو كتاب هدى ورحمة وتربية للنفس وترقي بها[٢].

والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿ **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[٣] يقول القرطبي في تفسيره: « أي القرآن يعني بينّاه بلسانك العربي وجعلناه سهلاً على من تدبره وتأمله وقيل أنزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه »[٤].

وعلى هذا وردت أقوال العلماء محذرة من الانزلاق في هذا السبيل. يقول ابن تيمية رحمه الله في ذلك: « من المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد الفاظه فالقرآن

(١) الطبري، مرجع سابق، ج١، ٣٥.

(٢) خالد عبدالكريم اللاحم، مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص ١٦.

(٣) سورة الدخان، الآية ٥٨.

(٤) القرطبي، مرجع سابق، ج١١، ص ١٦٢.

أولى بذلك وايضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم»[١].

كما أن التدبر من أهم العوامل المحفزة والدوافع القوية لنهضة فكرية وعلمية هائلة، فالمؤمن المتدبر لكتاب الله حق تدبره، أقدر على غيره من النظر العقلي في هذا الكون واستخراج مكنونات قوانين سيره والتعرف على أسراره ومن ثمّ توظيف ذلك كله لخدمة الإنسانية جمعاء من خلال توفير سبل أفضل للحياة الكريمة الهانئة. وقد نقل التاريخ الأعمال العلمية الهائلة التي قام بها العلماء المسلمون والتي كانت خير شاهد على ثمرة التدبر في حياة الفرد وسلوكه.

والتدبر من أهم الوسائل لبناء وصياغة مجتمع متحضر من خلال بناء العقلية القادرة على التفاعل الإيجابي المتواصل مع الكون وإكتشاف القوانين الكونية والاجتماعية وتحويل ذلك كله بصورة إيجابية إلى تطبيقات وإنجازات تخدم المجتمع وأفراده وتساهم في تحقيق سعادتهم وتنظيم حياتهم. فالتدبر في كتاب الله معجزة مستمرة لا تتوقف، تقدم في كل يوم جديدا مثمرا، يجد فيها كل جيل ضالته المنشودة وسبل سعادته ومقومات حياته.

ولم يتوقف الإبداع في حياة المسلمين إلا عندما نبذوا التدبر وهجروا كتاب ربهم، فقد كان التدبر في الكتاب مفتاحا للتدبر والنظر في الكون الفسيح وكشف قوانينه وتسخيرها لسعادة البشرية.

لقد أثمر التدبر في كتاب الله نتائج مذهلة في واقع المجتمع المسلم، فكان ظهور المجتهدين المطلقين في مختلف فروع العلم من فقه ونحوه، دليلا ساطعا على أثر التدبر بما خلفوّه من مؤلفات وموسوعات علمية هائلة تنّم عن تفاعل إيجابي بين فهمهم لكتاب الله وإدراكهم لطبيعة الواقع الذي يحيون فيه. فجاءت كتبهم ومؤلفاتهم ثمرة تفاعل متواصل بين الكتاب والواقع من خلال فهم وتدبر سليم يقوم على أصول راسخة وقواعد واضحة وضوابط بينة.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣، ص ٣٢٩.

من هنا جاءت فكرة هذا المشروع في توجيه اهتمام الناس إلى التدبر، وتمت دراسة أسباب عزوف الناس عن التدبر في كتاب الله، فلوحظ أن من أهم أسباب هذا العزوف: غياب الخطوات التطبيقية والعملية التي تمكّن القارئ من التدرب على التدبر في كتاب الله واكتساب هذه القدرة وتعلمها على الرغم من كثرة مراكز تدريس القرآن وعلومه.

من هنا جاءت فكرة افتتاح مشروع تدبر القرآن الكريم وكانت بدايات العمل من خلال إعدادي وإشرافي على ورش عمل خاصة بتبيان مفهوم التدبر في كتاب الله وأهميته. وكانت افتتاحية هذه الدورات مع جمعية النور للبر في مملكة البحرين في عام ٢٠٠١م في قاعة بيت القرآن[١].

ومن أمثلة دورات التدبر التطوعية التي قمت- بفضل الله - بتقديمها وبتنظيم من جميعات خيرية نسائية في البحرين:

- تدبر القرآن في سنن بناء المجتمعات الحضارية. (٨ حلقات. مدة الحلقة ساعة وربع الساعة). جمعية رعاية الطفولة والأمومة. البحرين. تنظيم: جمعية النور للبر. اكتوبر. ٢٠٠٦م

- تدبر القرآن في أسس التربية والتعليم. (٦ حلقات. مدة الحلقة ساعة ونصف). جمعية رعاية الطفولة والأمومة. البحرين. تنظيم: مركز أم الدرداء الصغرى التابع لوزارة الشؤون الإسلامية بمملكة البحرين. ٢٥ مارس/ ٢٠٠٥م.

---

(١) جمعية خيرية نسائية مقرها البحرين، تم إنشاؤها في عام ١٩٩٧م، وتهدف إلى تقديم المساعدات المالية والعينية للأسر المحتاجة والمتضررة ، وترميم البيوت القديمة لتوفير السكن الملائم للأسر الضعيفة، العمل على تطوير الخدمة الاجتماعية عن طريق التعاون مع كافة المؤسسات الإجتماعية والتربوية والرسمية والأهلية، العمل على تنسيق جهود المرأه للمساهمة في التحولات الإقتصادية والثقافية لخدمة عملية التنمية التي تشهدها مملكة البحرين، العمل على توثيق الروابط بالمنظمات العربية والدولية التي تعمل في مجالات عمل الجمعية .وتسعى الجمعية على أن تكون حلقة وصل بين المواطنين المحتاجين وذوي القدرة المادية أو الجهات المعنية في تقديم الخدمات. انظر موقعها على الانترنت:

http: / /www.alnoorlilbercharity.org /modules

– دورة تدبر القرآن في تنمية الشخصية. البحرين. شهر رمضان/ ٢٠٠٢م.

– مناهج تطوير وسائل الإدراك في القرآن. بيت القرآن. المنامة. ٢٠٠٢– ٢٠٠٣م.

– دورة أهمية النظر العقلي والحضاري في القرآن الكريم. جامعة الخليج العربي. المنامة. البحرين. الفترة من ١ جمادى الأولى– ١٦ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ يوليو ٢٠٠٣م.

–دورة العلاج السلوكي في القرآن. جمعية النور. رمضان ١٤٢٤هـ.

– دور التدبر والتعقل في حياتنا. مركز الهدى لتحفيظ القرآن. دبي. الامارات العربية المتحدة. يناير ٢٠٠٤م.

– دورة تدبر سورة الفاتحة. مارس ٢٠٠٤م.

– دورة تدبر الذكر الحكيم في سيرة صاحب الخلق العظيم. مركز أم الدرداء الصغرى. البحرين. مايو ٢٠٠٤م.

– دورة تدبر في سورة الكهف. مركز أم الدرداء الصغرى. ٦ سبتمبر– ١٥ سبتمبر ٢٠٠٤.

– دورة تدبر القرآن في وصف الجنان. جمعية النور للبر. ١٨ أكتوبر ٢٠٠٤م– ٣٠– أكتوبر ٢٠٠٤م.

والدورات المذكورة آنفا على سبيل المثال لا الحصر[1].

وتم الاستمرار في تقديم دورات التدبر هذه داخل البحرين وخارجها، ومن سلسلة دورات التدبر التي قدمتها جمعيات أهلية نسائية في دولة الإمارات العربية المتحدة مثل: دور

(١) للنظر في المزيد حول هذه الدورات يرجى العودة إلى الموقع الشخصي:www.drruqaia.com

التدبـر في حياتنا. والتي قدمت بتنظيم من مركز الهـدى لتحفيظ القرآن. دبي. الامارات العربية المتحـدة. ينايـر ٢٠٠٤م. كـما قامت اللجنة النسـائية في جائزة رأس الخيمة جائـزة رأس الخيمة الدوليـة للقـرآن الكريـم في دورتهـا الخامسـة بتنظيـم فعاليـات في التدبـر للنسـاء، في عدد من الجمعيـات الخيريـة في راس الخيمة. وقد قامت الجائزة - مشـكورة- بنشر كتـاب: تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، وتم توزيع أعداد هائلة منه.

رابعا: رؤية تحليلية في واقع مشروع تدبر القرآن ومستقبله

إن النجاح الملموس في مشروع تدبر القرآن الكريم الذي تبنته بعض الجمعيات النسائية الخيرية داخل البحرين وخارجها، والذي أثبتته هذه الدراسة، يجعلنا نقف وقفة المتأمل، أمام هذه الجهود النسائية، التي بذلت وتبذل على الرغم من المعوقات والصعوبات التي تواجهها، إلا أنها استطاعت -بفضل الله- أن تقدم شيئاً ملموساً، وتتجاوز الكثير من العقبات.

ومشروع تدبر القرآن الكريم يعد أنموذجا لكثير من الأعمال الخيرية النسائية.

وقد تم الاعتماد على نتائج الدراسة الميدانية التي جمعت من خلال نتائج الاستبيانات التي تم توزيعها على المشاركات من مختلف الجمعيات النسائية الخيرية في البحرين في دورات التدبر التي أقيمت خلال الفترة من ٢٠٠١-٢٠٠٧م، لدراسة محددات هذا المشروع وطبيعة الصعوبات التي واجهته خاصة، وأن المعوقات التي واجهها مشروع تدبر القرآن الكريم في الجمعيات الخيرية النسائية، هي في الغالب نفس المعوقات التي تواجهها معظم النشاطات والفعاليات التعليمية الأخرى.

ويمكن تلخيص هذه المحددات والصعوبات فيما يلي:

- ثمة مشكلات تتعلق بالبنية التنظيمية لكثير من الدورات التي أقامتها الجمعيات النسائية، و مما لا شك فيه أن إدارة العمل الخيري ترتكز على مفاهيم أساسية لا تختلف في الأصل عن إدارة أي عمل آخر، سوى في بعض التطبيقات، لأن العمل الخيري يرتبط بالمجتمع، ولذلك تتعين المبادرة في تطوير مؤسساته وأنظمته الخيرية وتأهيل العاملين به، وصناعة العمل الخيري. ومن أمثلة هذه المشكلات: عدم وضوح المهام والصلاحيات الإدارية والتنظيمة لإقامة الدورات، وضعف التقويم المستمر لتنظيم الدورات في بعض الجمعيات، ضعف الأرشفة والتوثيق والإحصاء وعدم توفر قاعدة البيانات لمثل هذه الدورات، حيث أن أي جمعية خيرية لا يمكن أن تقوم وتنهض إلا من خلال القدرة على تكوين قاعدة بيانات

للجمعية ولديها مهارة في الدعاية للجميعة و قادرة على إجراء اللقاءات ببعض رموز المجتمع لتقوية شأن فعالياتها ودعمها مادياً ومعنويا. ، وضعف التنسيق بين الجمعيات النسائية المتعددة سواء في داخل البحرين أو خارجها. الأمر الذي يؤدي إلى بعثرة كثير من الجهود وضياع توثيقها وعدم الإفادة منها في داخل منطقة الخليج.

– – ثمة مشكلات تتعلق بالموارد البشرية مثل: عدم توفر الكادر المؤهل والمتخصص في إقامة مثل هذه الدورات، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف القدرة على رسم استراتيجيات وبرامج تلائم الواقع المعاش ومشاكل المرأة الخليجية وحاجياتها.

– قلة ومحدودية الموارد المالية ومصادر الدخل التي تعيق تمويل مثل هذه البرامج ونشرها في المجتمع.

– ضعف دعم الإعلاميين والإعلاميات في معظم الأحيان للعديد من مشروعات وأنشطة المؤسسات والجمعيات الخيرية النسائية، بل وإنعدام الدعم مطلقا في مشروع التدبر على الرغم من الإقبال الشديد المتمثل في الأعداد الهائلة المقبلة على دورات التدبر. ولا تخفى أهمية الدور الذي يلعبه الإعلام في نشر مثل هذه الفعاليات وتشجيعها، وهو أمر تعاني منه المشروعات النسائية، مما ينعكس سلباً على استمرارية المشاريع والأنشطة ومحدودية الدعم الذي تتلقاه. وفي نفس الوقت عدم تشجيع المشروعات من قبل بعض الدوائر الحكومية، رغم التصريح المعتمد والثمرة الجيدة الملموسة في أرض الواقع والذي أكدته الأرقام الهائلة المدونة للمشاركات.

– ضعف التقنية وضعف استخدام الحاسب الآلي وبرامجه في كثير من أعمال الجمعيات.

– وثمة مشكلات تتعلق بالتسويق والترويج لأنشطة المشروع، منها: ضعف أساليب الاتصال بالمجتمع، ضعف الترويج الإعلامي للأنشطة الخيرية النسائية، عدم وضوح أهداف المشاريع لكثير من الجمهور الذي تتعامل معه، الظهور الموسمي والركود بقية العام.

- ضعف التخطيط للأنشطة والفعاليات المقامة على الرغم من أهميتها والإقبال عليها من قبل العناصر النسائية، وضعف ثقافة المجتمع بأهمية عمل الجمعيات الخيرية بشكل عام والنسائية بشكل خاص.

وعند طرح سؤال مفتوح - للإداريات والقائمات على تنظيم مثل هذه الدورات- عن المشاكل الأخرى التي تواجهها الجمعيات الخيرية، أكدن على التوالي: محدودية الموارد المالية، وعدم وجود أوقاف تعتمد عليها الجمعيات غالبا، محدودية وصعوبة الحصول على الدعم اللازم، وضعف التمويل من المؤسسات والشركات ورجال الأعمال والصناديق الداعمة لمشاريع الجمعيات الخيرية. وضعف الإعلام الداعم لها والترويج لها، وعدم تطور أساليب وإجراءات العمل واللوائح الداخلية فيها، وضعف البرامج التدريبية لهن وللعاملات في الجمعيات، وعدم توفر الكادر المؤهل المتخصص، وعدم توفر الخبرات الكافية في المجال المالي.

خامسا: خطوات عملية لتفعيل أنشطة الجمعيات الخيرية النسائية

وقفت الورقة من خلال الدراسة الميدانية واللقاءات التي قامت بدراستها مع كثير من القائكمات على الجمعيات النسائية الخيرية، على بعض الخطوات العملية التي يجب تفعيلها للنهوض بالعمل الخيري النسائي في المنطقة، ويمكن إيجازها فيما يلي:

- بذل الجهود من قبل الفئات الواعية والمثقفة وخاصة القيادية - من الرجال أو النساء- من أجل تغيير بعض القيم والتقاليد التي تقف عقبة أمام مشاركة المرأة ومساهمتها في العمل التطوعي وبما لا يتعارض مع قيم الدين الإسلامي الحنيف.

- تعزيز تأسيس الهيئات الإدارية في الجمعيات الخيرية النسائية، مع ضرورة توفر مستشارات في الكثير من المجالات التي تهمها، لتقوية مفهوم المؤسسية، وعدم إهمال آراء الخبراء والمختصين، لما يترتب على ذلك من مفاسد كبيرة توثر سلبا على العمل الخيري ككل.

- تأكيد الحاجة إلى التنسيق بين الجمعيات النسائية في دول الخليج من خلال اللقاءات الدورية بين القيادات النسائية الخليجية وعقد الندوات والملتقيات لتبادل الرؤى والخبرات على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، وهو ما سيؤدي إلى تكوين رؤية واضحة وثابتة حول قضايا المرأة المختلفة.

- تشجيع البحوث والدراسات المختلفة وإنشاء قواعد بيانات شاملة حول نشاطات العمل الخيري النسائي في كل دولة لتوفير المعلومات المساندة للتخطيط للنهوض بالعمل النسائي الخليجي.

- إشراك المرأة في مختلف الملتقيات والمؤتمرات والندوات الخاصة بالعمل التطوعي وإنشاء مجلس خليجي خاص بهن، يتيح للمرأة، المعرفة الواسعة بقضاياها المختلفة وما يواجهها من تحديات وعقبات، مما يكسبها جدية ورسمية وإلزامية لتطوير دور المرأة.

- وضع الاستراتيجيات المقترحة موضع التنفيذ من قبل الأجهزة والوزارات المعنية داخل كل دولة، كما يوفر للمرأة فرصاً لتقديم الصورة الإيجابية البناءة لها من خلال مشاركتها الفاعلة في المؤتمرات الإقليمية والدولية.

- التقويم المستمر للأعمال والأنشطة، ومكافأة كل فريق عمل أو فرد وفق ما قدمه من إنجاز خلال فترة معينة .

- تعزيز استخدام التكنولوجيا الحديثة لتنسيق العمل التطوعي بين الجهات الحكومية والأهلية لتقديم الخدمات وإعطاء بيانات دقيقة عن حجم واتجاهات وحاجات العمل التطوعي الأهم للمجتمع.

- تعزيز التدريب والتأهيل للكوادر العاملة في التنظيم والإدراة. فالكثير من الجمعيات الخيرية النسائية تضم عدداً من الكوادر النشطة والمتحمسة، غير أن هذا وحده لا يكفي، ما لم

تصقـل هـذه الكفاءات بالمهارات الفنية اللازمة، سـواءً إدارية أو محاسـبية أو مهـارات تقنية أو مهارات التواصل مع الآخرين.....

– الاستفادة من الخبرات المتراكمة، والعمل بمبدأ، (البدء من حيث انتهى الآخرون)، لا إعادة وتكرار ما ابتدأ منه الآخرون، وربما الوصول إلى أسوأ ما وصل إليه الآخرون.

– التكامـل في مجالات الأنشـطة، والملاحظ على بعـض الجمعيات الخيرية النسـائية، أنها تدور في نفس الفلك وتتبنى نفس المشاريع والأنشطة، وفائدة التكامل تقديم الأهم للمجتمع، وتخصـص البعـض في توفـير خدمـات للمجتمع قـد لا يتنبه إليهـا الآخرون، وعـدم التداخل والتضارب في الأنشطة المشتركة بين الجمعيات الخيرية.

– أهميـة التخطيـط الاسـتراتيجي المبنـي عـلى تحديـد الرؤيـة المشـتركة والأهـداف والاسـتراتيجيات، التي تعكس تطلعات الجمعيات المسـتقبلية على المدى البعيد، وتجعلها أكثر وضوحا وتركيزا، وأسهل فهما وتحقيقا.

تعلـم واكتسـاب مهـارات وضـع البرامج والخطـط طويلة الأجـل، المعتمدة على دراسـة وتحليـل المعوقات والسـلبيات، ونقاط القـوة والضعف، التي تؤثر عـلى الأداء ، و رفع الكفاءة المؤسسـية، مـن خـلال إعطـاء أهمية بالغـة للتخطيـط، وصياغـة الأهـداف وتصميـم الخطط والبرامج ،ومن ثم تنفيذ ذلك من خلال آليات واضحة.

– ترسـيخ المؤسسـية والبناء المؤسـسي، ومعرفة دور الفرد في المؤسسـة، وعلاقة المؤسسة بالفرد، حتى لا يصبح الفرد، هو المسيطر والمتحكم بالمؤسسة.

– تبني خطط إعلامية قوية وواضحة ومدعومة واختيار الأكفاء، من الكوادر المتخصصة حتى يتفهم المجتمع الدور الذي تضطلع به هذه الجمعيات، وحتى تترسخ الثقافة اللازمة لدى المجتمع بأهمية دعم العمل الخيري، والمشاركة فيه.

- السعي لإقناع الجهات الإعلامية الرسمية لتبني الدعاية والترويج لأنشطة هذه الجميعات الخيرية واثرها الفعال في تنمية المجتمع، ومكافحة المظاهر السلبية والمشاكل الأسرية المنتشرة في المجتمع.

- إجراء دراسات ميدانية للبحث عن المجالات التي تخدم المجتمع، مع السعي للتميز والجودة في تقديم الخدمة، ومراعاة حسن التخطيط لكيفية تمويل هذه المشاريع دون انقطاع.

خاتمـــة

قدمـت هـذه الورقـة دراسـة ميدانيـة واقعية لمشروع تدبـر القـرآن الكريم الذي يشـكل أنموذجا تطوعيا تعاضدت فيه جهود فردية ومؤسسـية نسـائية في آن واحد. وقد ابرزت الورقة العديد من النتائج منها:

- أهمية مشروع تدبر القرآن الكريم وأثره في تنمية الفرد والمجتمع والنهوض بالأمة.

- النجاح الواسع الذي حققه المشروع على الرغم من وجود العديد من الصعوبات

- تحديد الصعوبات والعوائق التي تواجه هذا المشروع كأنموذج للعمل التطوعي النسائي في البحريـن بشـكل خـاص. والتـي يتمثـل معظمهـا في جوانب التنسـيق والإعـلام وضعف التمويل والترويج لمثل هذه المشروعات.....

- تقديـم مقترحـات وخطوات عملية مسـتقبلية للإفـادة من التجارب النسـائية في مجال العمـل التطوعـي وأهمية تبـادل الخبرات في هـذا المجال خاصـة في منطقة الخليج لتعزيز سـبل التعاون والتنسيق.

❊❊❊